دُرُوسٌ فِي قَصَصٍ

الإمام المجدد

السيد محمد ماضى أبو العزائم

Abul Azayem
www.abulazayem.com

Version 2 / November, 2024

دروس فى قصص

الإمام المجدد

السيد محمد ماضى أبو العزائم

١٢٨٦ - ١٣٥٦ هجرية / ١٨٦٩-١٩٣٧ ميلادية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

مجموعة من القصص القصيرة كتبها الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم لتقديم النُصح والإرشاد بشكل رمزى لطيف يتسم بالبساطة.

وقد تم نشرها بمجلة " السعادة الأبدية" من عام ١٩٠٠م حتى عام ١٩١٥م.

كما قدم ولأول مرة النصح والإرشاد فى القالب المسرحى عندما كتب مسرحية "محكمة الصلح الكبرى" عام ١٩١٩م، والتى تناولتها رسالة دكتوراة قُدمت لجامعة الأزهر بعنوان " النثر الصوفى عند كُتاب مصر المحدثين من ١٩٠٠ - ١٩٤٠" كأعظم ما كُتب فى النثر الصوفى.

الناسك والمخترع

كان وديع بن رافع فى جامعة العلوم والفنون ببغداد بقسم علوم النفس، كان يميل بفطرته لمذهب السلف الصالح، لصفاء جوهر نفسه ولعلمه بقدر الدنيا: فكان يصرف أوقات الفراغ فى زيارة الزهاد والعباد والعلماء بالله تعالى، وكانوا كثيرين يقف على أبوابهم الأمراء والوزراء والعلماء، لأن التربية كانت موجبة لتزكية النفوس، جامعة للقلوب إلى علام الغيوب.

وكان له صديق فى قسم الفنون والصناعات والحكمة اسمه رقيع، صحبه من صغره، فنشأ وديع ناسكاً حريصاً على تزكية نفسه، آنساً بالوحدة، نافراً من الخلق راغباً فى الحق، ونشأ رقيع ميالاً للبحث فى خواص الكائنات، حتى برع فى علم الطبيعيات وفنون الكمياء والصيدلة والطب، وخطأ كثيراً من اليونانيين والفرس والرومان، وأخذ يحكم بعد التجربة والامتحان، حتى اخترع فى الطب والصناعات ما نفع به العالم أجمع، وصارت له شهرة فى عالم الصناعات والفنون، وازدحم على أبوابه العلماء والصناع والتجار.

وفى يوم خرج للنزهة فى البادية، فمر على صومعة على عين، فنزل تحت شجرة، وسأل عن الذى فى هذه الصومعة راغباً فى زيارته، فأخبر أنه ناسك له زمن طويل فى هذه الصومعة، فرغب فيه لِيُروح عن نفسه من عناء الأعمال، وقام فدق باب الصومعة أكثر من ساعة فلم يجبه أحد فلزم الباب وزادت رغبته، وبعد زمن سمع قائلاً يقول:

الناسك وديع: أضعت أنفاساً هى فوق النفائس، ماذا تريده منى أو ترويه عنى؟

المخترع رقيع: اسمح لى بزيارتك، لأنتفع برؤيتك، وأشكر نعمة الله علىَّ بالعقل ومنته علىَّ بنفع عباده.

ففتح وديع باب الصومعة.

الناسك وديع: ادخل منفرداً وقدم التوبة، وأسرع بالأوبة، فالأنفاس مراحل العمر، والسعيد من عمرَّها بالطاعة، والشقى من أضاعها فى معاصيه سبحانه.

المخترع رقيع: سمعت كلام الناسك فاقشعر جلدى وذرفت عيناى وخشعت تعظيماً له ودخلت واجلاً، فرأيت ملكاً فى هيكل إنسانى ونجماً مشرقاً فى جسم آدمى، وإذا به رجل فى الخمسين من عمره، أصفر اللون أبيض الشفتين غائر العينين كث اللحية ذقنه ملتصق بصدره، وما وقع بصرى عليه إلا وخرس اللسان وصغرت الدنيا فى نظرى ونسيت مخترعاتى وما حصلته من المال والشهرة والثياب، وتذكرت هول الموت وما بعده.

وعلمت أن الناسك زهد فى نعيم يزول وخير يفنى، وملاذ هو والحيوان فيها سواء، مسارعاً إلى نعيم يبقى ومسرات دائمة، ونجاة من هول لابد منه للإنسان إن لم يفر من الوقوع فيه.

فلما رآنى الناسك قال بسرعة: ألست رقيعاً؟ فخشع قلبى هيبة وقلت: بلى يا سيدى، فقال وديع لرقيع، أتذكر كذا وكذا؟

فعظمت حيرتى واحتقرت الدنيا وما فيها ومن فيها، بعد أن كنت أرانى بلغت بمخترعاتى مقاماً عند الملوك ومنزلة عند العَالَم أجمع لم يبلغها أحد، وأيقنت أن كل علو فى الدنيا وشهرة ومكانة لا بقاء لها، وأن كل المخترعات والصناعات إنما هى نتائج تمرين الأعضاء وأبحاث العقول وأن فوائدها تعود على الأجسام. وربما أضر المخترع العالم أجمع بما اخترعه، كمخترع الآلات الجهنمية وكالمتفنن فى أنواع الخمر وكمخترع الأزياء والأثاثات والأوانى التى تعين على شهوة الأكل والشرب والنكاح وكمخترع التلغرافات اللاسلكية، فإنها كشفت عورات بعض المجتمعات الإنسانية الآمنة الراضية عن الله، لأهل القوة والطمع الساعين فى الأرض بالفساد والقهر.

وقف رقيع يحاسب نفسه بعد أن كان يرى نفسه أسعد الناس فى عصره وأرفعهم قدراً. قوى عامل الفكر به حتى علم كم أضر مجتمعات وكم شغل الحس بالآلات التى اخترعها المنبهة للشهوات وكم أفسد آداباً وأخلاقاً، فإن الإنسان قبل تلك المخترعات كان فى أمن من الشرور العامة.

بكى رقيع بكاءً شديداً، وأحنى ظهره أمام الناسك قائلاً: أتقبلنى خادماً لك؟ عسى الله أن يتوب على فأنال قسطاً مما فزت به، فقد أضعت عمرى باحثاً فيما أصلح به المادة لينتفع الإنسان بها، وغفلت عن تربية نفسى وتزكيتها، فجعلت من الحديد آلة تدفع الجسم بقوة تمزق الحجر لو قابلها، وسميتها المسكتة (البندقية) فاستعملها الظلمة للانتقام والجبابرة للاستيلاء على الأمم، وكم اخترعت آلات وأدوات كلها لمضرة بنى الإنسان، وعلا بكاؤه قائلاً: هل لى يا سيدى من توبة؟ هل ترضانى لك عبداً، فلما سمع من معه خارج الصومعة بكاءه، أكبروا الأمر وقالوا: كيف يبكى من يتملق الأمراء بين يديه أمام هذا الناسك المهان، الذى لم ينفع الناس بشئ؟ ولبلادته وجهله هرب من الناس إلى هذا المكان، وهموا بقتل الناسك شفقة على رقيع.

فلما فتحوا باب الصومعة ووقع نظرهم على الناسك ارتجفت قلوبهم مما كوشفت به تلك القلوب.

السياسى والحكيم والغشيم

السياسة: تدبير المنزل والمدن والمملكة، مأخوذة من ساس يسوس سياسة، أى أصلح إدارة المنزل أو المدينة أو المملكة لجلب المنافع ودفع المضرات، مع رعاية الرحمة العامة بالمجتمع الإنسانى.

فإن خرجت السياسة عن أصلها كانت ظلماً وجوراً وكيداً، ومثال السياسة الحقة ما فعله الصديق يوسف عليه السلام مع أخوته، من أخذ أخيه منهم لينالوا الخير العام فى المستقبل، وعمل تلك التدابير لنيل الخير مع الإخلاص سياسة، وقد مدحه الله عليها فقال: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ يوسف ٧٦.

وأما ما يسميه الناس الآن سياسة فهو كسياسة القط مع الفأر، أعاذنا الله وإخواننا منها.

الحكمة: هى وضع الشئ فى محله، واستعمال كل شئ فيما وضع له مع رعاية الشريعة المطهرة.

الغشم: التسليم من غير روية ولا نظر.

الغشيم بين أبنائه وحفدته وأقاربه، فى مزارعه ومصانعه وأسواق تجارته فى هناء وصفاء.

السياسى نظر إلى نفسه وأبنائه وأقاربه نظرة إعجاب، فكره أن يعملوا عملاً نافعاً لغيرهم، وأحب أن يسيطر بالقوة القاهرة على الغشيم ومن معه، وكان عند الغشيم حكيم.

السياسى جمع الجيش وهجم على الغشيم.

الحكيم رأى الغشيم خرج من غير تدبير ليقابل السياسى فمنعه وقال: دعهم يدخلون البلاد واجمع قومك وأعد العدة حتى إذا فرحوا بالنصرة وملكوا بعض القرى أمكنك أن تحصن قومك وبلادك، وترسم طريقة حكيمة تستأصل بها هذا الجيش الظالم.

الغشيم سلم له وأقامه إماماً.

الحكيم أمر بإخلاء القرى أمام العدو.

السياسى تيقن النصرة وأمن جانب الغشيم.

الحكيم أنزل قومه فى مكان محصن، ثم أمر بالسلاح فحمل وأقام أهل الرأى قُواداً، وأمرهم بالصبر حتى يصدر أمره، ورسم المناورة بروية، فأرسل قسماً خلف جيش السياسى من طريق مجهول، وأبقى قسماً داخل البلد، وجعل قسماً جناحاً أيمن، وقسماً جناحاً أيسر، ثم أرسل الطلائع وأمرهم بالهزيمة أمام الجيش.

السياسى فرح جداً وأمر الجيش بالتقدم من غير روية، معتقداً أنه تمكن من عدوه، فأبعد فى داخل البلاد معتقداً تحصيل ضروريات الجيش من البلاد، فتفرَّق جيشه من السرعة والبطء فرحاً بالغنائم.

الحكيم انتهز تلك الفرصة، وأمر الجناحين والقسم الذى خلف العدو أن يلتقوا فى نقطة كذا.

السياسى لم يشعر إلا وقد أحاطت به الجنود فلم يجد له نجاة إلا بالهزيمة أمامه، معتقداً عدم القوة الاحتياطية فهلك أكثر جيشه، ولما أن وصل إلى داخل البلاد، قابله الجيش الاحتياطى فأسر البقية، وبعد ذلك اصطلحوا على شروط مخصوصة.

الغشيم علم أن هذا الفوز باتباع الحكيم، فأمر قومه أن يحافظوا على أوامر الحكيم ليدوم لهم الملك والمجد.

السياسى رجع حزيناً واعتقد أن الغشيم مادام مقتدياً بهذا الحكيم لا يمكن أن يتمكن منه، فجمع قومه وطلب أن يكيدوا معه للغشيم كيداً يخرجونه عن اتباع الحكيم ليتمكنوا منه، ويجعلوا الجميع عبيداً له، فحضر معه إبليس فى صورة إنسان، وقال: الرأى عندى أن ترسلوا لهم ما يفسد عقولهم ويضر صحتهم ويضيع أموالهم، وبذلك يخالفون الحكيم فتملكهم.

فسألوه: ما هى تلك الأشياء؟ وما الطريق فى انتشارها بينهم؟ فقال: أما ما يزيل العقل فالخمر والحشيش والبنج.

وأما ما يفسد الصحة فالعاهرات خصوصاً المريضات بالزهرى، وأما ما يضيع المال فانتشار الربا، ولهذه الأشياء رابع لابد منه وهو التفرقة بينهم.

السياسى سأله: من أنت؟

إبليس: أنا العدو اللدود للغشيم.

السياسى: لم عاديته؟

إبليس: إنه أطاع عدوى الحكيم، فأمره بالمخالفة بعد أن كانوا جميعاً عبيداً لى.

السياسى: كيف نتمكن من انتشار تلك المفاسد بينهم؟

إبليس: ترسل أولاً تلك المفاسد إلى كبرائهم، فإذا تمكنوا من الكبراء قلدهم الأتباع، والأمير إذا فعل قبيحاً لا ينكر عليه، ولا يقدر أن يمنع من ارتكبه.

السياسى أرسل تلك الأنواع المضرة فى طريق الخلفاء، فأرسل نساء عاهرات بآلات الطرب معهن الخمر إلى الحكام، فانتشرت تلك المضار بسرعة حتى تناسى الناس وصايا الحكيم.

السياسى أرسل رجالاً من أهل الخبث يحملون تلك الأشياء فى الأسواق لتُباع علناً، بعد أن يقدم كل واحد منهم هدية لحاكم المدينة التى يحل فيها، ويتردد عليه صباح مساء ليعلم أهل المدينة أنه محسوب الحاكم.

وكان فى المدينة تلاميذ للحكيم، فصاحوا صيحة النصيحة، فأصغى إليهم أهل التسليم وقالوا: هذا يخالف وصايا الحكيم فيجب مصادرته ورد الحاملين له.

وفود السياسى الحاملون للشرور، أسرع كل واحد منهم إلى الحاكم فى مدينته وقالوا له: كيف يصفوا لك الملك وفى المدينة حزب يسعى فى سلب الملك ويعصب عليك قومك؟! فتدارك الأمر واقتلهم شر قتلة.

الغشيم قبل منهم الكلام وعظم عليه الأمر، فأرسل للحكام المشتركين معه فى حب تلك المضار، أن يسجنوا من تظاهر ضد الرؤساء، فقبضوا على تلاميذ الحكيم واعتقلوهم.

وفود السياسى تمكنوا من القوم فأزالوا عقولهم وأضروا أبدانهم وأضاعوا أموالهم وعقاراتهم، حتى بلغ من جنونهم أنهم اعتقدوا أن السياسى ورجاله أرحم بهم من والديهم.

الغشيم وقومه تفرقوا حتى صاروا يمدحون السياسى بما قام به لهم من المصالح والإصلاح، ويذم بعضهم بعضاً وهم فى هاوية الذل لا يشعرون بمكايد السياسة.

السياسى لم يرض بإفساد العقول ولا بضعف الأجسام ولا بتحصيل الأموال، ولكنه سعى لمحو الدين والأخلاق، فجمع العقلاء لهذا الغرض، فجاء إبليس وجلس معه، فرجعوا إليه، فأمرهم بأن يبذلوا المال للغشماء الجهلاء من أعدائهم، ويخرجوهم من الدين ويجعلوهم آلة فى ذم دينهم بين قومهم ومدح غيره، ويظهروا أن الذى يخرج من الدين ينال المال الكثير والجاه، ثم نشروا بين القوم زخارف الأباطيل وأكاذيب الأضاليل، وأظهروا أنفسهم بأنهم رحماء بالحيوانات وبالمرضى، ليسلبوا عقول البسطاء بغرورهم، فتمكنوا من إضلال رجال من أهل دينهم، فادعوا أنهم من دين الأمة وأنهم ارتدوا عنه، ونشروا المفاسد والأكاذيب فلم يرق ذلك عند الأمة، ولكنهم لما أصابهم من ضرر المفاسد المنتشرة بينهم، لم يتمكنوا من دفع هذا الشر، لأن السياسى استولى على الأسلحة والأمتعة.

والقوى القهار خالق السماوات والأرض غضب على السياسى وقومه، لأنه لم يرضهم أن يقهروا عباده ويفسدوا بلاده، بل قاموا فكذبوه وكذبوا رسوله ﷺ، فغار لدينه غيرة منتقم قهار، فأوقع نار الحرب الانتقامية بينهم، ونظر إلى عباده نظرة حنان وأيقظ قلوبهم إلى وصايا الحكيم.

الغشيم تذكر مجده وملكه، وبحث بروية كيف نال هذا المُلك، وبأى شئ سلب منه؟! فتحقق أنه ما قهر السياسى قومه وتسلط عليه إلا بإهمال المحافظة على وصايا الحكيم، ومازال مجده وملكه وسلطانه إلا بترك وصايا الحكيم، فأطلق تلاميذ الحكيم من السجون، وجلس بين أيديهم ذليلاً يبكى ويتوب إلى الله، وطلب منهم أن يغيروا كل ما خالف وصايا الحكيم، وأن يعيدوا الأمر إلى الماضى الذى وضعه الحكيم، فعرضوا كل شئ فى المملكة على القرآن والسنة ومحوا أنواع الشرور كلها، وقامت الأمة من نومة الغفلة ورقدة الجهالة.

السياسى جمع عقلاء جميع مملكته ليتدارك الأمر، فجاء إبليس، فقالوا: ماذا ترى؟ فقال: لا رأى لى، أعداؤكم رجعوا إلى القوى القهار الحكم العدل الذى يهب الملك لمن يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء، ولطم على وجهه ونتف لحيته وفر يدعو بالويل والثبور.

تلاميذ الحكيم انتشروا بين قومهم فقام فى كل بلد حكيم أو صورة للحكيم، وكأن لسان حال الأمة ينادى:

إنا لنرخص يوم الروع أنفسنا ... وإن نسام بها فى الأمن أغلينا
إن تبتدر غاية يوماً لمكرمة ... تلق السوابق منا والمصلينا

وصار كل فرد منهم هو المعنى بقول الشاعر:

ويا رب يوم ذوب الغش ناره ... فلم يبق إلا صارم أو ضارم
وقفت وما فى الموت شك لواقف ... كأنك فى جفن الردى وهو نائم
تمر بك الأبطال كلمى هزيمة ... ووجهك وضاح وثغرك باسم

وصار كل فرد منهم حكيماً، لأنه اتبع الحكيم الأكبر ﷺ، فاستخلفهم الله فى الأرض، ومكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم، فساسوا العالم أجمع بالعدل والرحمة ومحا الله الظلم وأهله، والعاقبة للمتقين.

ريانة الشرقاوية وزبيدة المصرية

تربت ريانة الشرقاوية فى قرية، ووالدها اعتنى بتربيتها فحفظت القرآن واعتادت الصلوات الخمس مع والدها، وسمعت أحاديث العفة والآداب والخير الذى يناله المحافظ عليها، فكانت تستحى أن تنظر إلى وجه أبيها أو أخيها، أو أن تقلع ثيابها فى خلوة خوفاً من أن الملائكة تراها، بلغت العشرين من سنها على هذا الاعتقاد.

واتفق أن تزوجت زبيدة المصرية بعمدة القرية، وكانت كل بنات القرية أشبه بريانة عفافاً وصوناً، فلما حضرت العروس توجه السيدات لاستقبالها، وتوجهت ريانة لزيارة زبيدة.

ريانة دخلت الحجرة على زبيدة، فلما رأتها ظنتها شاباً أفرنكيا لافاً شعره على رأسه لابساً ثوباً إلى نصف ساقيه وإلى كتفيه، فصاحت ووقعت على الأرض مغشية عليها، لظنها أنها أضاعت العفاف والصون والعوائد الإسلامية بالنظر إلى الخواجة.

فقامت زبيدة وظنت أنها مصروعة فرشت على وجهها ماء، فلما أفاقت ونظرت إلى زبيدة فتمثلتها عفريتاً وصاحت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. وقامت مسرعة إلى بيتها وجلدها يقشعر وهى تقول: العفريت العفريت، ومرضت فجاءت زبيدة عيادتها.

زبيدة علمت بالحادثة وأسبابها وتصورت ما كان عليه آباؤها من قبل، ومقدار الحياء عندهم وحرصهم على العفاف،كيف انمحى كل هذا الشرف والغيرة، وحل محلها التبرج وإظهار العورات! وتمثلت تلك المصائب فبكت، وبينما هى كذلك إذا بزوجها يكلفها بمقابلة والده، فتوجهت معه حتى دخلت حجرة جميلة بها شيخ وشيخة وأمامها أمه بيدها مبخرة تبخر الحجرة فلما رأياها التفت الرجل مغضباً وغمض عينيه، وصاحت أمه قائلة: يا شيطان، تدخل علينا الخواجة وخرجت من الحجرة بسرعة، ودخلت فى أخرى وأغلقت عليها.

تذكر زوجها عوائد قومه فحزن جداً وعلم أنه أساء الأدب، وأسرعت زبيدة بالخروج، وقام الرجل فلطم ابنه ونادى زوجته قائلاً: من أين أتيت بهذا الشقى ليس هذا منى، إنى أستحى أن أنظر إلى وجه ابنتى أو إلى ساقيها.

بكت المرأة وأقسمت بالله ما نظرت عيناى إلى غيرك أبداً، ولا نظر إلى ما فوق كفى غيرك، وأن الشمس لا ترانى إلا إذا خرجت لنشر الثياب، وإن هذا ذنبك لا ذنبى فلعلك أكلت حراماً أو شربت حراماً، فارتفع صوت الرجل والمرأة لما رأياه من هذا العجب.

العمدة صار بين همين، الخجل من زوجته وغضب والديه، وضاقت عليه الأرض بما رحبت وتمنى الموت، ولكنه خر يقبل قدمى والده قائلاً: أخطأت يا سيدى ويبكى، فأجابه الوالد: تب إلى الله وحافظ على عوائدك الإسلامية، واعلم يا بنى أن الحيوان يغار أن يرى غيره أنثاه، فكيف بك وأنت من صميم العرب، وتعلم أن آداب الإسلام غض المرأة بصرها وإخفاء زينتها فضلاً عن عوراتها، فكيف ترضى أن ترى زوجتك عريانة اليدين والساقين والصدر متبرجة وترضى عنها؟! ينهاها الله عن إبداء زينتها فتبدى عورتها! وعندها وقفت أمه فى الشمس وقالت: أقسم لا أنتقل من الشمس حتى تستتر أو تطلقها، فقال: السمع والطاعة وأخذ يبكى بين يديها لتجلس فى الظل، فجلست وتوجه إلى زوجته.

زبيدة أسرعت بعد وصولها لحجرتها فخاطت لها ثوبا كثيابهن ولبسته، وقابلته به فلما دخل قال: أين زبيدة هانم؟ فأجابته: نعم، فلما نظر إليها قال: لا تحزنى فالعادة طبع خامس، وللعادة سلطان قوى، فتبسمت فى وجهه قائلة: يا سيدى لا يكره الفضيلة إلا سفيه، وإن أفضل الفضائل الآداب الدينية، وقد علمت أنكم آل بيت كريم، فأشكر الله على أن أكرمنى بهذا الشرف، شرف الدين والدنيا. فأخذها وتوجه بها إلى والده ووالدته وعلمها آداب الزيارة والمجالسة. فبينما هم فى مبادلة التحية جاءت امرأة فقالت: أن ريانة مريضة من تأثير رؤية العفريت فطلبت زبيدة من زوجها زيارتها فسمح لها، فتجملت من ملابس نساء القرية وتوجهت إلى ريانة.

العالم والتاجر والفلاح

من عجائب الاتفاق أن عالماً مالت نفسه إلى أن ينشطها بعد الملل من مزاولة الدروس، بمفارقة المباحث والعمل، ففارق مصره وأنكر قدره وجد فى السرى راغباً فى سكنة القرى، حتى دخل قرية تدل آثارها على عيشة البداوة، فقال: أعيش مع هؤلاء عيشة العاقل مع الجهلاء فأنسى الدواة واليراع والمناظرة والنزاع وأتفكه بتلك الأفكار السقيمة والأخلاق الذميمة، ونزل على ماء وخضرة بين رجلين فحياهما فاستقبلاه ببشاشة وأجلساه بجانبهما، وقدما له خبزاً قديداً وملحاً جريشاً، وهشاً وبشاً، فسألهما عن عملهما، فقال أحدهما: إنى رجل فلاح، وقال الآخر وأنا تاجر. فسأل الفلاح قائلاً: هل تعرف ربك؟

الفلاح: إن كنت أجهل كل شئ فأنا أعرف ربى.

العالم: كيف عرفته؟

الفلاح: هو عرفنى بنفسه، الأرض اللى أنت قاعد عليها قالت لى إن ربنا قادر، بعد أن كنت ميتة أحيانى بالزرع، والميه اللى قدامك دى قالت لى ربنا هو اللى أنزلنى من السماء، وكل شئ يشوفه الواحد منا بيتكلم عن ربنا.

العالم: تعرف تصلى؟

الفلاح: إذا كنت بشوف الأرض والميه والبهائم والشمس والقمر والنجوم تملى بتخدمنى، جعلها لى ربنا، كيف أنا ماعرفش أصلى للى خلقنى ورزقنى، هو أنا بهيم بس آكل وأشرب ماعرفش ربنا وماعرفش إن العبد يطاوع سيده!

الفلاح: أُمال أنا أسألك إذا كان الإنسان مايأكلش يجرى له إيه؟

العالم: يمرض وبعدين يموت.

الفلاح: طيب إذا كان المسرجة ماتحطش لها زيت بعدين يجرى لها أيه؟

العالم: بعدين تنطفى.

الفلاح: بقى عرفت إن جسمنا عاوز الأكل علشان يعيش، والمسرجة عاوزة الزيت علشان تنور، فالصلاة الزيت اللى بينور الروح بتاعتنا ويخلينا تملى نفتكر ربنا ولا ننساهوش.

العالم خجل وسكت.

التاجر قال للفلاح: الناس اللى بيقعدوا فى بلاد البندر بينسوا ربنا علشان تملى قلبهم مشغول بحاجات الدنيا الفانية، ولا يفتكروش ربنا إلا عند المصايب، شوف الواحد منا كل شغله يفكره بربنا.

الفلاح: ياخويا دا ربنا عطاهم الأكل والشرب والراحة، لكن همه ضيعوا عمرهم فى الحاجات البطالة.

التاجر: يعنى إيه؟

الفلاح: يغيبوا طول الليل وطول النهار يتكلموا فى الشئ اللى ما ينفعش، زى الهدوم والحسد والشهرة والوظايف، وهناك حاجة كمان تانية يسموها السياسة يقوموا يتكلموا فيها، ومحدش يعرف همه عاوزين إيه.

التاجر: إنت رُحت مصر؟

الفلاح: رُحت، كان معاى شويت سمن، فُت على الجوامع لقيتها كلها مقفولة حتى مصلتش الضهر إلا مع العصر، ولقيتهم كلهم قاعدين فى السكة على القهاوى، سمعتهم يقولوا يحيا سعد زغلول، وجماعة تانين يقولوا يحيا عدلى، أنا افتكرت إن الناس دول بنوا مساجد أو وقفوا أطيان كتيرة للفقراء، خدت السمن بتاعى ورحت أسال عن بيتهم، لما رحت هناك لقيت زحمة سألت: بتاخدوا إيه من هنا؟ قالوا مافيش حاجة إحنا جايين نثبت الثقة بالرئيس.

التاجر: إنت ماتعرفش الكلام، ده سياسة غويطة، دا سعد زغلول عامل سياسة هو وعدلى، يعارضوا بعضهم قدام الناس ولكن هم متفقين ويا بعض، وما تصدقش إن راجل زى سعد زغلول فى آخر عمره، يجهل إن شطارته ما تظهرش إلا إذا كان الرجال العقلا اللى يحبوا الخير للمسلمين يكونوا وياه، كمان ياخويا عدلى ده اسمه من زمان كويس، ومايصحش إنه يجى فى وقت اللى احنا محتاجين له، وعلشان حاجة ما تضرش ولا تنفع يعمل عداوة، لابد يا خويا إنهم بيعملوا كده بالقصد.

العالم: صغرت علومه ونفسه فى نظره، وعجب من تأويل الفلاح والتاجر البسيطين، فسأل التاجر قال له: إيه رأيك فى الناس دى الوقت؟

التاجر: الناس اللى مايكنش ربنا معهم مين ينصرهم! اللى عاوز ربنا ينصره هو ينصر ربنا، لأنى أنا سمعت سيدنا وهو بيقرأ كلام ربنا ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾ محمد ٧.

الفلاح بسرعة : ربنا غنى عنا واحنا كلنا محتاجين له، والنصرة بتاعتنا له طاعتنا لأمره، واتباعنا للنبى اللى أرسلو لنا، وحبنا لبعضنا.

التاجر: وكمان حاجة، إن كل واحد منا يحب للمسلمين اللى يحبه لنفسه.

العالم: والناس اللى بيمشوا فى الشوارع ويزعقوا دول، والعساكر يضربوهم وهمه يضربوا العساكر رأيك فيهم إيه؟

التاجر: أنا كمان مشيت وياهم، ولكن ده فعل ربنا، لما ربنا يريد ماحدش يمنعه، إحنا كنا زمان نحب البريطانيين دول أكتر من الحكام المسلمين، وكنا نخاف منهم كتير خالص، ولكن اليوم ما بقناش نحبهم ولا نخاف منهم، بقى دا فعلنا ولا فعل ربنا؟

ولا سعد ولا عدلى يقدروا يحببونا ولا يكرهونا، لكن الناس ما يعرفوش لما المطر ينزل مين يقدر يحوشه، إن كنت فقى قوم ادن لنا الظهر خلينا نفتكر ربنا وبلاش كلام.

المقتصد والمسرف والفاسق

شاب مقتصد من صغره، حريص على توفير أكثر ما يصل ليده من المال، وكان له أخ يصرف كل ما وصل إليه، حتى اعتاد على تبذير ما معه، وكان لهم جار اعتاد عمل الشر.

المسرف قال للمقتصد: أعطنى ريالاً أرده إليك يوم الجمعة.

المقتصد: لم احتجت؟ قال: اشتريت بمالى لعباً وتكسرت ورايح أشترى غيرها.

المقتصد: أنا لا أحب أضيع مالى فى لعب.

المسرف: أنا رايح أرسم نفسى.

المقتصد: ليه أدفع مالى فى الرسم هو له فايده؟ اللعب تتكسر والصور تتقطع والمال يروح والواحد يرجع يذل نفسه لغيره زيك، أنا أحفظ مالى وأبقى عزيز غنى عن الناس، والناس تحتاج لى أحسن، شوف أنت جيت لى ذليل محتاج ولو كنت ماضيعتش مالك فى اللعب والصور لم تحتاج لى.

المسرف: يوم الجمعة أرد لك الريال بس هاته.

المقتصد: أحسن اصبر من غير دين ليوم الجمعة.

المسرف: خطف من جيبه ريال وطلع يجرى.

المقتصد: رمح وراه يبكى فلقيها فاسق فقبض على المسرف.

الفاسق قال للمقتصد: أخذ منك إيه؟

المقتصد: ريال.

الفاسق: قبض على يد المسرف ليأخذ الريال.

المقتصد قال للمسرف: لا تعطيه وأحسن نرجع إلى البيت.

الفاسق: أرجعه لك منه.

المسرف خاف أخوه يأخذ الريال منه بالقوة فأعطاه للفاسق وقال: امسكه معك.

الفاسق أخذ الريال وفر المقتصد وراءه.

المسرف قال: إن شاالله ما رجع.

المقتصد رمح ورا الفاسق حتى اختفى عنه، فمشى وراءه يسأل عنه، حتى استدل عليه فى بيت من بيوت العهارة، فدخل فوجده يشرب الخمر مع عاهرة.

الفاسق لما رأى المقتصد فر هارباً.

المقتصد، أسرع فقبض عليه، وقال له: أنا أترك لك الريال إن سمعت كلامى.

الفاسق: تكلم.

المقتصد: ليه إنت هربان منى؟

الفاسق: خجلت لما شفتنى أشرب الخمر.

المقتصد: أنا ولد صغير، وإذا كان فيك قوة الشعور أن تستحى من ولد صغير كيف لا تخاف من الله وأنت تسمع الفقهاء يقرءون القرآن ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ الحديد ٤.

الفاسق: أنا مصدق، ولكنى شفتك بعينى وربنا لا تراه الأبصار.

المقتصد: الإنسان يشوف بعين قلبه زى ما يشوف بعين رأسه.

الفاسق: هل كل الناس عين قلبهم تشوف؟

المقتصد: الذى لا ينظر بعين قلبه يقلد غيره.

الفاسق: الناس صاروا بطالين.

المقتصد: أنت سمعت كثيراً الفقهاء والعلماء يخوفون من النار، لازم تصدق وتبعد عن فعل الشر، وتعتقد إن ربنا حاضر مع الإنسان وينظر إليه ويعلم به.

الفاسق بكى.

المقتصد: الحمد لله، تب أحسن لك وأنا أسامحك فى الريال.

الفاسق: ياليتنى خطفت الريال من زمان.

العاهرة ضربت المقتصد.

المقتصد بكى من ألم الضرب وقال: أنا أسعى فى الخير وأنت تعملين الشر!

العاهرة: إنت وأبوك والناس كلهم جاءوا من أين؟

الفاسق: الحلال بين والحرام بين، وهذا الولد كلامه يرقق القلب وصحيح يا جنينة ـ اسم العاهرة ـ إن الإنسان يكره يموت ويحاسبه ربنا، وكل الشهوات دى تنتهى ونتعذب عليها وأحسن نتوب إلى الله قبل الموت.

العاهرة: هذا الولد من أين؟

التائب: هذا من عند ربنا وكلامه حق، أنتى شفتى المرأة مارتا وفريزة وكنتوشة حصل لهن إيه؟

العاهرة: اتشوهوا واتقطع لحمهم وبعدين ماتوا فى الأودة وقعدوا عشرة أيام من غير ما يعرفهم أحد.

جنينة: والله يا كعبور ـ اسم الفاسق ـ كلام الولد ده حلو.

المقتصد: إذا كان تاب يتزوجك.

جنينه: أخذت زجاجة الخمر كسرتها، جنينة وكعبور اغتسلوا.

المقتصد: سمع منادى يقول: يا ولاد الحلال، ولد تلميذ اسمه شفيق تايه وحلاوته جنيه.

المقتصد: هم بالخروج.

جنينة أقعدته وقالت: اصبر حتى نتوجه معك للعالم.

المقتصد: هذا المنادى يفتش علىَّ، ونظر فى الساعة فوجدها أربعة عربى ليلاً.

المسرف بعد أن أخذ الفاسق الريال منه رجع إلى البيت ولم يخبر والدته عن أخيه، فسألته عنه فأنكر حتى جاء والده.

الوالدة أخبرته بغياب ابنها.

الوالد سأل المسرف عن أخيه.

المسرف خاف من والده فأخبره بالحقيقة.

الوالد قال: زمان الحرامى قتل الولد، عند ذلك الوالدة قامت تبكى وتضرب المسرف.

الوالد خرج مسرعاً إلى القسم يسأل عن ابنه فلم يجده، فأرسل المنادى ينادى عليه.

المقتصد خرج مع كعبور وجنينة إلى بيت العالم المشهور فى مصر وأخبره بالحادثة، فأرسل العالم بسرعة رسولاً إلى بيت المقتصد ليطمئن أهله، ووعظ الفاسق والعاهرة حتى تابا على يديه وزوج المرأة للرجل، وعندها حضر الوالد والوالدة يبكون، فلما رأوا ابنهم زال ما عندهم.

المسرف ندم على جميع ما فعله، وعزم على أن يقتدى بجميع فعل العالم.

الفاسق التائب رأى فى بيت العالم يافطه مكتوب فيها:

إن من يركب الفواحش سراً كيف يخلو وعنده كاتباه
حين يخلو بسره غير خال شاهداه وربه ذو الجلال

الجبان والمتوسط والمتطرف

المؤتمر الشرقى العام

شرف الشرق

خلق الله الإنسان حراً مريداً، فلا ينام إلا لمرض ولا يذل إلا لغرض، فإذا نام لا توقظه إلا الحوادث العظام، وإذا ذل لا يشجعه إلا شديد الآلام، فإذا قام من نومه أبى أن ينام إلا إذا كان مريداً حراً، وإذا نفض تراب الذل عنه أبى أن يضام ولو قهر، أو إذا نام الشرق وما كان له أن ينام، واستكان وما كان له أن يضام، وهو الأفق الذى أشرقت فيه شموس رسل الله، وطلعت فيه بدور أنبياء الله، وانتشرت منه فى الأقطار أنوار الحكم، وتفجرت ينابيع الفضائل والنعم.

بل هو الأرض التى أنبتت الإنسان، وهبط إليها من أسجد الله له ملائكته وجعله صورته، بل وأظهر الله فيه عجائب قدرته وغرائب حكمته، فأظهر فيه رسله وأنزل فيه ملائكته وخصه بوحيه، فكان مهبط ملائكة الله ومقر رسل الله ومبعث أنوار الرحمة والحكمة والعلم والعدالة، والاجتماع الإنسانى الفاضل، حتى كأن الله تعالى لشرف الشرق خصه بفضله وكرمه، وأثنى على أهله المقبلين عليه، وحاسب على ما أودعه فيه من الخيرات والبركات من أبى وتكبر.

ولم يُسمع أن الغرب خص بميزة روحانية ولا بنعم ملكوتية، فكان الغرب ومجهولات أفريقيا وسكان أمريكا، كأن الله خلقهم كمستودعات لاستحضار ما يحتاج إليه الشرق، فمجهولات أفريقيا لتطهير الهواء وخزن المياه الهاطلة من السماء لمنفعة الشرق، وكأن أوروبا لتربية المعادن والحاصلات المفيدة كالفحم وأخشاب الأشجار الضخمة وتلطيف الهواء الحار، يأتى من الشمال على بلاد الشرق ماراً على الثلوج والبحار، ولذلك لم تذكر فى الكتب المقدسة.

ومن نظر بعين بصيرته إلى ما فيه الغرب يظهر له أن أهله حرموا من القوة التى بها علو

الهمة وقبول العلم بالله، ولذلك ترى أكثر سكان الغرب يعبدون إنساناً ولده الشرق، أو يجحدون من أوجدهم وبإحسانه أمدهم، أو ينكرون وجود الإنسان الذى خلقه الله وسخر له جميع الكائنات، وأعد له النعيم المقيم يوم لا ينفع مال ولا بنون، فيعتقدون أن الإنسان أصله قرد، وينكرون الفضائل الإنسانية، فينحطون إلى أدنى مراتب الوجود فتراهم كالحيوانات فى الغابة يفترس القوى الضعيف، وليس كذلك الإنسان.

يقظة الشرق

لما كان أهل الشرق هم الناس الذين اعتنى الله بهم، وأكرمهم بالنبوة والرسالة والحضارة والاجتماع الإنسانى، ولم يخل مجتمع من المفسدين ظهر فيه الفساد فعم، فسلط الله عليهم من أدبهم بهم، حتى اشتد الظلم وعظم الطغيان وتوالت الحوادث، فحس النائم بلهب النار وكاد التساهل أن يذوب بالشرار، تيقظ فرأى من يأنس بهم وحوشاً كاسرة، ومن يميل إليهم أمراضاً قاهرة، واشتد على الشرق الأثر فاقتضى الحال للمؤتمر.

المؤتمر فوق جبال القمر

انعقد المؤتمر بعد السمر فى دار الحكمة النظرية، على جناح السرعة للحكمة العملية.

جلس الرئيس وأمامه الجبان والمتوسط والمتطرف.

الرئيس قال بعد البسملة: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ النور ٥٥، ثم بكى فأبكى وقال: السماء هى السماء والأرض هى الأرض، ولكن ما سر التغير؟ ثم استرجع وقال: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ الرعد ١١، ثم التفت إلى الجالسين، فقال: الشرق هو الشرق وأهله هم أهله، لم تنمسخ الأجسام ولم تنعكس القامة، نعم... ولكن أين تلك الهمم وذاك الشمم؟ وأين تلك الحمية والغيرة التوحيدية والعزيمة الإسلامية والنشوة الروحانية التى كانت تضمحل أمامها الملاذ البهيمية وتتضاءل الحظوظ الشهوانية؟ فيكره الإنسان حياته إذا رأى الباطل أو أهله، غيرة للحق

ونصرة للفضيلة، ما هذا الذى فرق بعد الاجتماع وأضعف بعد القوة وأذل بعد العزة وسلب الحياة الروحانية؟

بينوا لى إخوتى ووضحوا لى سادتى، أيموت الإنسان مرتين، موت لضميره وعقله وموت لجسمه وحسه، فيكون بموت ضميره بهيماً مذللاً يقاد ولا يحس بالهوان، أم تمرض نفسه فلا يحس بالذل لنظيره، فيداوى وتعود له الصحة الإنسانية التى يعرف بها قدره وحكمة إيجاده ويعلم مصيره؟

الجبان أجاب قائلاً: ما هى حياة الضمير؟ الخلق كلهم يتعبون ليحصلوا حوائجهم، ويعيشون ليأكلوا، وما دام الإنسان بطنه معمور وعورته مستورة كان فى حياة مشكورة، أنا ظننت عند بكائك أن السماء انخسفت على الأرض، وقد جهلت ما تقول، كل واحد منا عنده أكله وشربه وهدومه وينام بالليل ويقوم بالنهار، هل منعنا من الأكل والشرب؟ أم من النوم؟ فهِّمنى ما الذى تريده؟ أليس الله مدح الحلم فى كتابه، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ البقرة ١٩٥، وهل لى رأسان فأجود بواحدة وأبقى الأخرى! أنا أرى البهائم وهى أقوى منا أجساماً فى عيشة لذيذة، لا تحس بالذل والهوان، قال الشاعر:

سألزم نفسى الصفح عن كل مذنب ولو عظمت منه على الجرائم

وقال رسول الله ﷺ: (إن الله يحب الحليم الحيى ويبغض الفاحش البذئ) أنا ظننت أن هذا الاجتماع على مائدة شهية أو لنيل عطية.

الرئيس قاطعه قائلاً: سكت عياً ونطقت غياً، اعلم أن حب الذات أصل البليات، والحرص على الحياة عين الممات، استشهدت بقول الشاعر وجهلت مراده، وبقول رسول الله ﷺ ولم تحكم إيراده، وذكرت الحلم على غير علم، ليس الحلم انخلاعاً عن الكمال الإنسانى بالذل لظالم شيطانى، إنما الحلم إمساك النفس عند الاستشاطة فى الغضب وربط الجأش عند هيجان الحرج، وملك الجوراح عند اتقاد جمرة الشهوة والشره، والسكون عند الحركة للانتقام مع القدرة على ذاك، فإن الحليم أطاع ربه وملك إربه، رحمة بالنظراء

والضعفاء، لشرف النفس وعلو الهمة وحب مكارم الأخلاق، وليس الحلم ضعف الهمة واحتمال المهانة، وقال الشاعر:

ولا خير فى حلم إذا لم يكن له بوادر تحمى صفوه أن يكدرا
ولا خير فى جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أصدر الأمر أصدرا

اجلس أيها الجبان، فقد كدت تميت الشجاعة والشرف وتحى الذل والتلف، ثم التفت فقال: يجب علينا أن نعالج النفوس حتى تعافى من أمراض الرذائل وأسقام الدنايا، ليعافى الأسافل.

المتوسط: يجب علينا أن نبحث عن سبب هذا الخبر، وعن موجب هذا الضرر، لنعلم كيف صار الشجاع جباناً والعزيز مهاناً، ولديها نُركب للداء الدواء بأناة وروية، وقد سئل رسول الله ﷺ عن الإيمان فقال: (هو الصبر) وقال الشاعر:

لا يدرك المجد أقوام وإن كرموا حتى يذلوا وإن عزوا لأقوام
ويصفحوا عن كثير من إساءتهم لا صفح ذل ولكن صفح أحلام

الرئيس: واجب الوقت أن نعمل لا أن نتكلم فبين رأيك.

المتوسط: تعلم يا سيدى أن الغاصب لا يرد ما وضع يده عليه بحجة لسانية ولا بمفاوضة بيانية، حتى يُهدد بقوة تخيفه وبصولة ترهبه، لكى يتحقق أنه إن أبطأ فى رد المغصوب يؤخذ منه قهراً، وبدون تهديد لا ننتفع بوعوده.

الرئيس: بين لنا طرق التهديد من غير ترديد.

المتوسط: يعلم سيدى أن المغصوب منا السيادة والأموال، فالقوة التى نسترجع بها السيادة من هذا الغاصب أن نتحد متحابين، ونتعاون على الخير متحدين، وأن نصلح ذات بيننا فى كل الحوادث بأنفسنا، فلا نحتاج إلى هذا الغاصب أن يدفع ظلم بعضنا عن بعض،

وأن نعز أنفسنا من أن تذل بالتقرب منه والإكرام له، حتى نتباعد بالكلية عنه.

فإنما سادنا بقهر بعضنا ببعض، فإن بعضنا تدعوه السفاهة إلى نيل شهوته وحظه بأذية قومه، فيستعين بالغاصب على أحب الناس إليه وأقربهم منه، وإنا والحمد لله ديننا حق جمع لنا ما به سعادتنا فى الدنيا والآخرة، فلنرجع إليه فى معاملتنا ونتوب إلى الله مما جنته علينا نفوسنا من مخالفة الله تعالى، فنكره ما كرَّهَنا فيه ومن كرَّهَنا فيهم، ونحب ما رغبنا الله فيه ومن أمرنا بحبه، وبذلك نسلب سيادتنا منهم ونحيا فى أوطاننا أعزاء نجدد آدابنا وفنوننا وصناعاتنا، أما استرجاع المال من يد الغاصب فأمر سهل علينا، وذلك أن نستغنى بحاصلات بلادنا وننافس فى صناعاتنا ونشجع عُمالنا.

لأن الشرق مكث أكثر من ستة آلاف سنة وهو منبع الفنون والصناعات ومصدر الحكمة والخيرات، والغرب فى حضيض الأسفلين بل فى ذل مهين، فهم لا يزالون فى حاجة إلى الشرق فى ضرورياتهم، والشرق غنى عنهم فهلم بنا نستغنى عن وارداتهم المفسدة للعقول المضيعة للأموال المفسدة للأخلاق والآداب. انظر يا سيدى بكم من الملايين يشرب الشرق خمراً، وبكم يفسد صحته بالعقاقير والمياه المعدنية التى تجلب لأهل الشرق فتفسد أجسامهم لأنهم لم يعتادوا عليها، لا شفاء لكل إقليم إلا بعقاقير أرضه، وبكم من الملايين يرد على الشرق من الأقمشة للرجال والنساء، التى لا يستعملها إلا أهل الخلاعة الذين لا خلاق لهم، مع أن صناعات الشرق مع جودتها ومتانتها تناسب الكمال والمكان، وكم خربوا بيوتاً للصناعة، وكم أماتوا صناعاً وعمالاً كان الشرق يفتخر بهم، وإنى لأعجب كيف يقتل المرء نفسه ليحيى عدوه، نترك يا سيدى شرب الدخان واستعمال الحشيش والجلوس على البُرَص التى تنزف ثورة الشرق، ونعود إلى تبادل الزيارات فى منازلنا والاجتماع على أفاضلنا، فنسترجع أموالنا المسلوبة ونعيد صناعاتنا المفقودة، ونجدد المحبة والولاء والصفاء بيننا والوفاء بعد التفرقة والجفاء، فيكون الشرق من المحيط الأطلنطيقى إلى المحيط الهادى ومن المحيط الهندى إلى المتجمد الشمالى كعائلة واحدة، يجمعها دين حق ووطن جمع الله لنا فيه أنواع الخيرات كلها، وأغنانا الله به وأحوج إلينا غيرنا.

هذه يا سيدى هى القوة التى نهدد بها عدونا الآن، فنضطره إلى مفارقتنا أو إلى مسالمتنا، فإذا جمع الله شتاتنا ومنحنا النشاط فى تحصيل العلوم النافعة والفنون الرافعة عاد لنا مجدنا الماضى، وعدنا للعالم أجمع كما كنا مصدر الرحمة والخير، كما أمرنا الله تعالى ووصانا به رسول الله ﷺ، نعفوا عن إساءة المسيئين.

الجبان قام باكياً قائلاً: إنى كنت نائماً فتيقظت غافلاً فتنبهت، وإنى أعاهد سيدى الرئيس أن أكون أول عامل بتلك الوصية، مجاهداً نفسى بكل غيرة وحمية، وإنى أنشر تلك المبادئ بين أحبابى وأولادى فترون إن شاء الله جيشاً على الرذائل هاجماً، هذا وإنى أرى أن يكون تعليمنا بالعمل لا بالقول والأمل، وهلم فليحرق كل واحد منا ما على جسمه أو فى حقيبته مما وجد من غير أوطاننا، وكان أكثر ملابس رجال المؤتمر من صناعات مصر ومراكش والهند، فأحرقوا الأحذية والسجائر والشرابات، وأرسلوا الخدم فأحضروا لهم نعالاً وشرابات.

الرئيس: الحمد لله الذى منحنا الاتحاد فإن الذى يعمله الفرد يعمله المجتمع.

المتطرف: إن رأى المتوسط حسن ولكنه يحتاج إلى زمان طويل نخشى فيه من العدو أن يخدع من لا بصيرة لهم، أو يصادر الصناعات بما أتقنه من طرق الانتقام والتشديد والخبث والتهديد، والرأى عندى أن نهدده بالمظاهرة بالعداء، ونطالب برد كل شئ لا يرضاه ديننا ولا تستحسنة عوائدنا، ونخرج من بلادنا أهل المفاسد المنتشرين لسلب الأموال بالخمر والميسر والفجور، ونطالب بألا يتعين فى إدارة شئوننا أجنبى إلا إذا فُقد نظيره من الأمة، وأن ينشر التعليم العام الذى يعيد للشرق مجد الصناعات، ويجعل للصناع قوة الاختراع والتفنن، حتى يزهو الشرق بمجهودات العقول السليمة، وتلك المطالب كلها لابد لها من ثمن غالٍ، فندفعه سخية به نفوسنا، وهاهو هذا الصداق يبذل من نفوس طاهرة بريئة، تحصدها الرشاشات من مياه الهند إلى مراكش، ومن لم توقظه من نومه جمرات النار كيف يستيقظ؟!

المجذوب والسياسى

سئم ناصر الشهير أعمال السياسة، لأن خديعة الأعداء فوق سياسته ففر إلى زاوية مزوية ليروح نفسه بين الدراويش بحالة خفية، فوجد مسكيناً فى أسمال ظنه محتالاً، وانتقد عليه ولكنه أسرع إليه وقال ما أسمك؟ فأجابه: اسمى أبو تراب، وانتقادك علىَّ عجب عجاب، فظن به السوء وقال: أتقن الحيلة وحصل فى النصب الوسيلة، وعزم أن يكشف سره بالسياسة وأتقن وسواسه وقال: أبا تراب ما عملك فى النهار ومتى تخرج من الدار؟

أبو تراب: عملى فى النهار من كلاب الدنيا الفرار، وبما أشهده الاعتبار.

ناصر: وإلى من تفر وأنت بينهم وفيهم ومنهم؟

أبو تراب: إلى مشهود بعيون اليقين، قريب من أهل التمكين، إلى رب العالمين.

ناصر: لعل عقلك مختل وعزمك منحل.

أبو تراب: إن من تيقن الموت وتحقق عدم الفوت، ونظر فاستبصر، يفر إلى الله ولا يتأخر.

ناصر: ما حال الناس اليوم؟ وما يؤول إليه شأن القوم؟

أبو تراب: تعنى بالناس المسلمين؟ قد التفتوا عن وليهم وركنوا إلى عدوهم، فخدعهم بالمحال ثم أذاقهم الوبال، مكنهم الله فى الأرض بالتقوى، وأذل لهم غيرهم ومنحهم الجدوى، فتفرقوا أيدى سبأ وكم وعظهم فى النبأ، هاهى شواظ النيران تمزق جلودهم، والوعود تهدد بلادهم، فأصبحوا بعد أن كانوا سادة أمراء عالة أذلاء، وهذا جزاء من التفت عن وليه المعطى الوهاب، ويرغب فى المسارح والملاهى عن المحراب، وأدخل الثعبان المنكمش فى الشتاء، بين جلده والغطاء، فلْيَلُم المتساهل نفسه، حيث والى العدو ومنحه أنسه.

ناصر: وهل لذلك خلاص؟ أو ليس منه مناص؟

أبو تراب: سبب البلايا هذا، وقبض على لسانه ثم مزق ثيابه، ووضع يده على بطنه عريانة، وقال: إنما مكن العدو هذه، ثم وضع يده على عورته وقال: سبب الذل للعدو هذا، هجموا علينا بالسيوف فقهرناهم بما كنا عليه من الحق، فردوا الكرة علينا بشهوتى البطن والفرج فقهرونا قهر الدابة بالسرج، ينادينا رسول الله ﷺ لنلتفت عن أهل الشهوات، وينادينا الأعداء إلى الذل والبليات، فنجيبهم للمعاصى والمخالفات.

ناصر بكى بكاء شديداً وتذكر قول العربى:

ترى الرجل الفقير فتزدريه ... وفى أثوابه أسد هصور
ويعجبك الطرير فتبتليه ... فيخلف ظنك الرجل الطرير

وقول الآخر:

أبُنَى إن من الرجال بهيمة ... فى صورة الرجل السميع المبصر
فطن لكل مصيبة فى ماله ... وإذا يصاب بدينه لم يبصر

ثم بكى بكاء شديداً واسترجع وقال: صدق الله العظيم فى قوله مخبراً عن الكافرين، الذين حقروا أتباع نبيه الكريم ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ﴾ هود ٢٧، وقال إنا نظن فى أنفسنا الحكمة والسياسة ونحتقر النساك، وإذا بهم هم الرجال، ثم قال لأبى تراب: هل ترضى بى لك خادماً فقد صرت على تقصيرى نادماً؟ ولكن يا سيدى بين لى كيف الخلاص من ضيق ما خاص.

أبو تراب: أنت الذى جلبت هذا لنفسك، فابك فى يومك على أمسك.

ناصر بكى وانتحب، وخشع بين يدى الفقير ولزم الأدب وقال: يا سيدى ما الرأى والحيلة وما العمل والوسيلة؟

أبو تراب: اخلع ثياب ترفك. فخلع أبو تراب ثيابه ووقف عرياناً... والبس حلة كفنك

فإن الموت عز يدوم، والراغب فى الحياة ذليل محروم، ثم تناول بوصة طويلة فركب عليها يجرها وراءه، وقبض على سيف من خشب كالصبى الذى يلعب، وهجم عليه قائلاً: لا يرد الكلام مجداً ولا يؤيد قصداً، وعدوك أقوى منك خدعة وسياسة، وأحرص منك على المال والرياسة، ثم وقف يكرر مخاطباً بطنه:

يـــا بــطــن أنــت عـــدوتـــى بجـــوعـــى أنـل أمـنـيـتـــى

ثم ضربها بالسيف وخاطب ذكره قائلاً:

أنــت العـــدو تقـــودنـــى للـنـــار حـــال الغفلـــة

ثم ضربه بالسيف وخاطب لسانه:

نعـم لـــســـانـــى قـــادنـــى للـــــذل بعــــد العـــزة

وأخرجه وضربه بالسيف، ثم نظر وقال: يا ناصر إذا قهرت أعدائك فيك بسيف الشريعة بلغت الدرجة الرفيعة، وعاد لك المجد القديم، وذل لك العدو الرجيم.

ناصر: فهمت إشارته وأدركت عبارته، ودنوت منه ففر منى وقال: إليك عنى، فرجعت إلى بيتى وقد وضح لى السبيل وقام الدليل.

الصالح واللص والسُكرى

من عجائب الاتفاق أنه خرج الصالح من بيته فى جوف الليل يتهجد فى المسجد، فلقيه اللص فظنه خفيراً فرماه بالرصاص، فلما سمع صوت البندقية قال: يا حفيظ يا سلام، فحفظه الله، فعجب اللص واعتقد أنها كرامة ودنا من الصالح.

اللص: سامحنى أنا ظننتك حرامى.

الصالح: لست حرامى أنا متوجه إلى المسجد لأصلى ركعتين فى جوف الليل.

اللص: خروجك فى هذا الوقت خطر.

الصالح: إنما الخطر على من خرج ليغضب الله، وأما الذى يخرج لطاعة الله يحفظه الله، وبينما هما يتكلمان مر بهما سكران أفسد الخمر عقله وأنهك قوته، وفى جيبه زجاجة خمر، فلما لقيهما أخرجها وناولها للصالح.

الصالح أخذها منه وقال للص: انظر يا أخى إلى هذا المسكين، كان إنساناً فصار أقل من البهيم.

اللص أراد أن يأخذ ثياب السكران وماله بالحيلة، فقال للصالح: هذا عاقل لم ينقص عقله.

الصالح: لا بل هو لا يحس بشئ.

اللص: إذن اسمح لى أن امتحن عقله.

الصالح: لا يحتاج إلى امتحان، الأمر ظاهر.

اللص: دعنى أمتحنه. والتفت إلى السكران وقال: هات المال الذى معك، فأعطاه ما معه، فقال: اخلع ثيابك. فخلع ثيابه.

الصالح يقول للص: لو أن هذا اتقى الله، هل كان يضيع عقله ويسلم فى ماله وثيابه! إن المسلم إذا عصى الله تعالى انتقم منه.

اللص: أنا رأيت كثيراً يفعلون الكبائر ولم يحصل لهم مضرة.

الصالح: المضرة يا أخى أنواع كثيرة منها العقوبة البدنية، ومنها سلب التوفيق من العبد، ومنها مسخ الإنسان حتى يكون إنساناً فى الشكل وهو سبع فى الحقيقة يقتل الناس ويفترسهم، أو كلباً يؤذى الناس أو ثعباناً.

وأنت ترى اللص الذى يخرج فى الليل لأجل سرقة الأمتعة وقتل الناس إنساناً؟ لا بل هو سبع كاسر مسخه الله لأنه أغضب الله، وكيف يكون الإنسان الذى يخرج فى الليل ليقتل وينهب إنساناً نظيره أو أخاه المسلم من جنس الإنسان؟! لا شك أن الله مسخه وهو لا يشعر بذلك، والسكران هذا لم يضر غيره ولكن أضر نفسه، ولكن اللص أضر نفسه وأضر غيره، فهو عدو نفسه وعدو رسول الله ﷺ.

السُكرى: أنا فين؟ وفين أُمال تفيدة زوجتى؟ ثم نظر إلى نور القمر على الأرض فظنه ماء فقال: أنا أغتسل فى هذا الماء وأروح نظيف.

الصالح بكى حزناً عليه وقال: عجباً لمن يبيع عقله وشرفه ويضيع ماله ودينه، بشرب شراب غض المذاق سيئ البلع ممزق للكبد مفسد للمعدة.

اللص: أنا أعتقد أن الحرامى خير من السُكرى، وأحسن نأخذ ثيابه وماله ونتركه.

الصالح: الإنسان إذا لم يرحم لا يرحمه الله، وأما اللص شيطان ووحش، لأن هذا السُكرى أضر نفسه فقط، لكن اللص يخلد فى النار والغالب أنه يموت كافراً.

اللص: هو اللص يموت كافر؟

الصالح: نعم، لأن الذى يقتل يخلد فى النار، وربنا سبحانه وتعالى يعذبه فى الدنيا

والآخرة، لكن الذى يشرب الخمر يعجل له ربنا العقوبة بسرعة، وأنت تنظر بعينك، ضاع عقله وماله وثيابه ودينه وصحته وجاهه، وأنا أصحبه رحمة به لما أوصله لحد بيته.

اللص: رق قلبه وأخبر الصالح بحاله.

الصالح قال له: تب إلى الله وتوجه مع السكران إلى منزله، فلما وصلو المنزل وجدوا الباب مفتوحاً فدخلوا به فوجدوا أمه تبكى وزوجته خرجت تفتش عليه فى الخمامير هى وابنته، فزاد حزن الصالح، وأسف التائب، وسألا أمه فقالت: إنه فلان بن فلان، أبقى له أبوه خيراً كثيراً، فاجتمع عليه رجل فاسد فأضاع كل المال، ولم يبق عندنا ما نقتات به.

الفلاح المصرى والتاجر الهندى والمخدوع العراقى

إن الكلام لفى الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

اهتم مؤرخ شهير أن يعلم شيئاً عن الهند والعراق ومصر وهو فى سفر، فتعرف برجل من كل أمة، فكان المصرى فلاحاً والهندى تاجراً والعراقى عوناً للظلمة، فأحب المؤرخ أن يسمع منهم من غير أن يفتتحهم بسؤال، ليصل إلى الحقيقة من غير تكلف منهم، فإن المسئول ليس كالمتكلم بوجد من غير سؤال.

المخدوع العراقى: كنا نكره هؤلاء ولكنا أحببناهم لما عملوه من الخير، انظر إلى الحرية، والواحد منا يسهر طول الليل فى أنس وبسط ولذة لا يخاف من المتكبرين، فيجلس الفقير مع الغنى فى القهوة والخمارة، ويخرج فيجد أبواب الكراخانات مفتحة، ويجد العساكر واقفة بالسلاح، وإذا احتاج للمال يروح البنك يأخذ كل شئ يريده، وإذا زعله أبوه والا العمدة يروح يوقفه أمام الحاكم يهينه ويحبسه، وبنت أعظم عظيم تطلع على حريتها تروح بيوت الكرخانة وتروح بيوت السر، لا يقدر أبوها حتى يضربها بيده، بعد أن كانوا زمان إذا بصت البنت من الشباك أو تكلمت بكلمة صغيرة من الكلام اللى يسر النفس، أو أى إنسان يمر عليها ويلقاها ويا رجل آخر يضربها أبوها أو أى واحد، والإنسان فى البلد زى الأسير مايقدرش يعمل حاجة، وكانت البهائم فى حرية عنا، كنت تشوف الجديان والحمير فرحانين ببعض مافيش حبس حرية، لكن إحنا الآن لا يمنعنا الجماعة اللى عاملين نفسهم عقلا من غير حق.

الفلاح المصرى: كل ماعون ينضح بما فيه، أنا سمعت إن فى الغابة حيوان زى الإنسان من نوع القردة، وكنت لا أصدق لكنى الآن صدقت الخبر، والحقيقة أن هذا الرجل العراقى هو ذلك الحيوان اللى سمعت عنه، يا مسكين الناس الذين تمدحهم وحوش فى صورة ثعالب، كرهوا الخير لك فسلبوا منك الأسباب التى تنال الخير بها، وهى الدين والعفة والرحمة،

وجعلوك أدنى من البهائم، مع أن الفرس التى ينظفوها كل يوم مرتين ويطعموها أجود الأكل، تحس بالذل عند ركوبهم عليها، فكيف يفهم الحيوان ضررهم وينفر منهم.

وأنت يا إنسان تجهل ما يريدونه منك!

صحيح زمان كان والدى يضربنى إذا أخرت صلاة الصبح، وإذا سمع منى كلمة لا تليق بالأدب، وإذا تأخرت بعد العشاء ولو فى مصلحة، وكانت والدتى إذا رأت أختى تكشف يدها أو تلبس ثوباً ملوناً تضربها وتوجعها، وكان الرجل إذا مشى بعد المغرب مع المرأة يعايروه الناس كلهم، وكان العمدة بتاع البلد إذا غاب عن صلاة الجماعة فى المسجد كان أهل البلد يحقرونه ولا يتوجهون إليه للصلح.

وكان الذى يشتكى جاره يفضحونه، وكل أهل البلد يعايروه، لأنه لم يسامح جاره، وعمرى قبل ما نرى هؤلاء الناس لم أر رجلاً وزوجته فى المحكمة، ولا أخاً مع أخيه فى المحكمة، ولم أر محضراً حجز على واحد فى بلدنا أبداً، ولم يسمع بالربا، وكان الرجل منا يروح بيت جاره فيدخل مخزنه ويأخذ منه التقاوى، حتى كنا نأخذ العيش من بعضنا، وكان أكثر أكلنا وشربنا على المساطب بَرَّا الباب.

وعادتنا أن الرجل إذا عمل فرح والا محزنة لا يغرم ولا قرش واحد، بل كل جيرانه يقوموا له بلوازمه، فكانت البلد كأنها عائلة واحدة، إمام المسجد وخطيبه أبوهم، والعمدة خدامه، وكنا نجتمع معه فى النهار خمس مرات، نسمع منه العلم، ويقوم الواحد منا يقول لزوجته وأولاده الكلام اللى سمعه من الشيخ. كان الولد الصغير يستحى يكلم الكبير عنه، كنا زمان فى أيام الزراعة كلنا نزرع لبعضنا، فيستعمل كل واحد منا حيوانات وآلات إخوته، عمرى ما سمعت إن واحد تخاصم مع الثانى لأجل سقية الزرع، وكنا نزرع البرسيم لتأكله حيوانات الفقراء مع حيواناتنا، ولو سمعنا أن رجل اختلى بامرأة لعمل السوء نخرجه من البلد، ونحبس المرأة فى بيتها، تبقى فضيحة لها ولأهلها تعاير بها قرايبها، فكان أفقر واحد عند غيره مثل أكبر واحد.

لما دخل بلادنا الذين تمدحهم عملوا زى ما عمل نابليون، الذى حكى لنا حكايته سيدنا واحنا فى الكُتاب، قال: إنه لبس ملابس الأولياء هو وقومه، ودخلوا المساجد يصلون، وزاروا العلماء، وأعطوا لهم حشيشاً كثيراً، وأهل مصر فرحوا بهم، وبعدين قاموا دخلوا الأزهر بالخيل وقتلوا العلماء والأطفال، وأظهروا المفاسد فى النساء والرجال، واحنا نسينا حكاية سيدنا، واغترينا بما أظهروه لنا من الرحمة حتى بالبهائم، قلنا فى أنفسنا: ربنا رحمنا بهم، وبعدين نظرنا فوجدناهم زى الميه اللى تحت تبن، توقع الجدران على أهلها من غير ما يشعروا.

أفسدوا العقائد والعوائد والأخلاق، فلو أن سيدنا قام من الطربة ورأى حالتنا لأنكرنا، كان يقول: فين المسلمين؟ وأين دور النسيج والغزل وصناعة الطرابيش والجلود والصباغة؟ وأين الحرف والفنون اللى كانت فى البلد كثير؟ وأين أصحاب الأطيان الواسعة؟ وأين الوجوه الجميلة الإسلامية التى كان الإنسان يراها مجملة باللحية؟

ومالى أرى النساء أصبحن كالإماء ظاهرة عوراتهن؟ وكنت أمشى فى البلد طول النهار لا أرى امرأة واقفة على بابها، وإنى أرى النساء فى الأسواق مكشوفات العورات!

وأين الحياء الذى كان بين الناس؟! كنا نستحى نأكل فى الأسواق، وكان يقول: مالى أرى الناس يخرج الدخان من بطنهم! لا حول ولا قوة إلا بالله.

فكيف إذا ظهر سيدنا عمر بن الخطاب ورأى حالة البلاد التى فتحها بدم الصحابة!

أيها العراقى أيام تمسكك بدينك كنت راقياً، هل جهلت أم تجاهلت! هل إن يسلب الحرية منك العقل تنحط إلى رتبة البهائم! كنت عزيزاً فأذلك المغتصبون، وكنت غنياً فسلبوا الغنى ونشروا بينك رجالاً يقبحون الدين، وأظهروا ما تنفر منه نفوس البهائم من العهارة والخمور والميسر والربا، وسلبوا العلوم النافعة والآداب الفاضلة بعد سلب الصناعات والسلاح، فانظر إلى نفسك وابكى عليها. وبكى الفلاح حتى أبكى الحاضرين وقال: كان عندى خزانة من المال أنفع بها الجيران، وكان عندى ميت فدان أعين بها الضيفان، فعلمت ابنى فى

المدرسة فقهرنى على التمدن، فبنى بيتاً كبيوتهم وأنفق ماله فى بلادهم، فأصبح الآن يرعى البهائم عند رجل أفرنجى، يعض أصابعه ندماً، وهو الآن معتقل، لأنه كان مغروراً بهم فانكشفت له نواياهم.

أيها العراقى لا تكن سبباً فى انتشار الطاعون الاجتماعى بين قومك، واعلم أن تبسيمة السباع فاتحة الضياع.

بكى الهندى وأبكى.

الهندى: أيها الفلاح المصرى، إن كل مسلم يحب الناس الذين يكرهون دين الله لابد أن يكون أبوه منهم، وأنت تعلم أن العراقى غش المسلمين، وقام مع العدوين بقتل المسلمين لأجل أن يطفئ نور النبى معهم بمحاربة خليفة النبى عليه الصلاة والسلام. هذا العراقى أحب الكفار وكره المؤمنين لأجل المال والرياسة، والذى يبيع دينه بالدنيا ويسفك دم المسلمين بسيف الكافرين فى حرم رب العالمين، ويقوم مع المنافقين بسفك دماء المسلمين ويذل أنصار رب العالمين عند بيت المقدس، ولم يخش الله تعالى لا فى الحرم المكى ولا فى الحرم الشامى، اسألوا يا مصرى يا فلاح قل له: كنت بتساعد مين على مين؟ وكنت تقتل مين بسيف مين؟

هو العراقى أول أمس كان يسفك دماء المسلمين بسيف الكافرين، وأمس كان واقف يقول أنا صديق الإنجليز ويجب على العرب أن يصادقوهم، والعربى الذى لا يصادقهم عدو بلادهم.

وفى بلادك يا فلاح رجال كثيرين مثل العراقى، ولكن الحمد لله الحق يعلو ولا يُعلى عليه، إحنا كنا فى الهند مغرورين أكثر منكم وكنا نفتخر بيهم، ولكن بعد ذلك غلب الطبع التطبع.

أنت تسمع فى التاريخ علوم الهند وصناعتها وتجارتها وقوة ملكها وكثرة إيراداتها، كل ذلك ذهب وسلبه هؤلاء الناس بسبب مثل هذا العراقى، وبعد أن استخدموهم فى ضرر قومهم أذلوهم ذل الكلاب، والحقيقة ظهرت والعداوة فى القلوب تأسست، وإحنا والحمد لله قمنا

من نوم الغفلة، وصار العراقى وأمثاله معلومين للمجتمع الإسلامى، ولولا أننا مُحرمون بالحج كنا ريحنا العالم منه ولكن له يوم، وأنا أبشرك يا فلاح أننا فى بلادنا اتحدنا مع الهندوس على طرد الظلمة، وربنا سبحانه وتعالى نبه كل أمم بلادنا، ولم يبق فى آسيا كلها إلا العراقى وأبوه وأخوه، ودول ربنا كشف الستر عنهم وكرههم حتى أتباعهم.

وأنت ترى حالة مراكش والجزائر وتونس وطرابلس ومصر والشام، وحركة العراق والحجاز، وتعلم أعمال أنصار الدين فى الأناضول وبلاد العجم وأفغانستان وغيرها، وأظنك تسمع أن جزء من بلاد الإنجليز وهو من جنسهم، ودا كله من ظلمهم للعباد.

العراقى لما سمع كلام المصرى والهندى دخل فى قلبه الرعب، وتذكر أعمال الظالمين، وعلم أن الدنيا فانية، وبكى على نفسه وتحقق أنه ظلم نفسه بفرحه بالدنيا، وسأل الهندى كيف الخلاص؟ فأجابه الفلاح المصرى أبواب الخلاص مفتوحة قدامك، الجيش الإنجليزى خرج من عندك، والمسلمين اللى وياك كلهم يحبون الله ورسوله، فانصحهم واجمعهم وارجع إلى ما كنت عليه مع خليفة رسول الله ﷺ وأنصاره، فإنك تنال العز فى الدنيا والسعادة فى الآخرة.

أنت يا عراقى مهما بلغت درجتك من القوة والملك لا تخرج عن كونك عبد للإنجليز، أنا شُفت بعينى فى مصر واحد من المعسكرين الإنجليز عندنا ينفذ كل شئ، والحكومة كلها خدامة له، ومصر دولة قديمة قوية من قديم، وأنت يا مسكين لم تكن ملكاً ولا سلطاناً، وهم أعطوك الملك لتكون عبداً لهم مطيعاً، كيف تتمنى العز وأنت أذل الناس لهم! تدارك نفسك قبل الموت وانصح قرايبك فإن القهار لا ينام، والظالم لا يأمن نقمة الله تعالى، لأنه سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ هود ١١٣.

الهندى: إن الأعداء يبذلون المال ليفرقوا بين المسلمين ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ البقرة ٩، أفسدوا الحجاز والعراق والشام واليمن ومصر، عداوة لله ورسوله ولخليفة المسلمين، كما قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ التوبة ٣٢، وكل إنسان لا يقبل النصيحة عرض

نفسه لنقمة القهار المنتقم، فإن لم يبادر قبل النقمة بندم ولا ينفعه الندم.

واحنا والحمد لله كلنا رجاء فى سرعة إغاثة الله لنا جماعة المسلمين، ومن معنا من أهل الذمة.

المؤرخ عجب لبساطة الثلاثة ولقوة شعورهم، واعتقد أن هذا الشعور أحدثه حوادث مؤلمة، وتبين له أن ظلم أوروبا أغضب الله تعالى، فسلب ما كان لهم من الثقة فى قلوب الشرقيين، وتحقق غضب الله على أوروبا وسرعة نزول النقم بهم.

الفلاح والحكيم

الفلاح: إلى متى يا رباه هذا العسر إذا ما انقضت أزمة تبعتها أخرى، وإذا ما انتهت حرب نشبت حروب، وإذا ما تخلصنا من مأزق تولانا مأزق ضيق عالى، آفة زراعية، أو كربة نفسية.

الحكيم: رويدك يا هذا:

لا تيأسن فبعد العسر تيسير من الإله وبعد الكسر تجبير
إن العباد لهم رب يدبرهم وفوق تدبيرهم لله تدبير

تقول: توالت الأزمات، وتتابعت الكربات، ومالك لم تذكر نعم الله من أرزاق وأقوات وطيبات وحسنات! ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١﴾ المعارج، صدق الله العظيم. ترفل يا هذا فى نعم لا حصر لها، وتنفر بمجرد حصول ما لا تأنس إليه! حقيقة أن الإنسان بطبعه خلق ميالاً للكسب ولوعاً بالمسرة، ولكن لابد لهذا من ثمن هو مشاق الحياة وغضاضة العيش.

تشكوا أزمات ويشكوها معك بنو آدم، أما دروا أن ذلك ما قرفته أيديهم ومشتهيات نفوسهم من تطوحاتهم فى سبل الغرور، وارتمائهم فى أحضان الشهوات، ولما لم يصلوا لغاية عادوا فتناهشوا بعضهم حباً فى الاستئثار بالنافع، وقاموا وأنت منهم يتذمرون ويشكون وهم المقترفون المتسولون، قال رسول الله ﷺ: (كما تكونوا يول عليكم) نبيئة بالغة تخبرنا أنه كيفما يكون عليه الإنسان من الحالة زراعية أو تجارية، أو نفسانية كانت أو خيرية يحاسب عليها، فاشك نفسك لنفسك، وفوض أمرك لربك.

الفلاح: قول صحيح وعظة صادقة، ولكنك لو علمت أيها الحكيم أنك تعالج بدناً بعد ما نخرته الأمراض، وتوالت به عليه العلل، فقل معه الأمل، وانقطع فيه الرجاء. تحاول صحيحاً ولكن مع غير صحيح، بقولك مسلم، وبنصحك راض، إلا أنى لا أمل لى فى أن

أعالج كثيراً مع هذه الحالة، وكان أولى بك أن تنتشلنى من المرض، وبعد ذلك تؤنب، مثلك أيها الواعظ معى كالسائح الذى أبصر غريقاً يتخبط فى الماء يطفو به الأمل ويغوص به اليأس، فأخذ السائح فى تقريعه وفى إساءته، على أن من لم يحسن السباحة لا يتعرض للبحار. فناداه الغريق بألفاظ يقطعها اليأس: نجنى وبعد ذلك لك ما بدا لك، فإنك بذلك تزيد همى وتقرب أجلى، أما كفاك محاربة أمواج ومعاناة أرياح وتقطع أنفاس! فقال السائح: صدقت، ورجع من حيث أتى فتغلب عليه الماء وكان من المغرقين. لومك هذا معى كحكاية هذا السائح، ولكن كان الغريق يحارب عدواً واحداً وهو الماء، وانا أحارب جيشاً من فوارس الدهر.

الحكيم: يظهر لى أنك اقدر منى وأحق بالوعظ عنى، ولكن يا أخاه ما الذى دهاك وضاعف بلواك؟ إذا عرفت السبب بطل العجب.

الفلاح: خلقت مع أمثالى من سكان الريف على فطرتى وفطرتهم، نرضى بالقليل ونكتفى بالقليل، وكانوا كلما تطوحوا ناحية من التظاهر سرت سيرهم، والمرء بطبعه مقلد، وبفطرته محب لنفسه، فإذا تمكنت أن تستأصل ذلك من طبع بنى الإنسان كنت أحق بهذا اللوم وأولى.

تدرجت كغيرى باعاً ثم ذراعاً، وواصلت السير وما التفت غير بعيد إلا ورأيت صعوبة الرجوع وبعد الشقة، وكان قد حاول دون ذلك ذئاب الإنسانية، من يأكلون أموال الناس بالباطل بين المرابى فلان والراهق فلان والطامع فلان، هذا مع دافع من النفس إلى مواصلة السير، والنفس أعدى عدوك التى بين جنبيك، عصت الله فعذبت نفسها، وأطاعت الشيطان فأنَّت وأنَّ أبناءُ هذه النفس.

الحكيم: حسناً تقول، وكل شئ تستحسنه فهو كذلك بما تصنع له من التعليلات، أو تستقبحه فهو كذلك بما تستشهد به من الأسباب، غير أنه لا يستوى الحق والباطل، ولا تستوى الظلمات والنور، فيا أخاه لو لم تغوك الغاوية لكنت غيرك الآن. الخير واقع والشر واقع غير أن هناك خلافاً بين الأمرين، وتبياناً بين السبيلين، فلو كنت من طبعك توفق

لكليهما لبلوته لا محالة، لأنى أخاطب الآن مواقفاً للخير، لأن النفس بطبعها فيها استعداد كثير لذلك، كما فيها من غيره، والمرء على ما يقوم من نفسه عليه، وهو فرد فى مجموع ومجموع فى فرد، وهبه الله قوة مدركة وعيناً بصيرة، فما عذره بعد ذلك؟

الفلاح: هبنى كما قلت، فما هو الحكم الآن؟

الحكيم: الحكم عندى يا أخاه أن يستعجم عودك، فإن كان خلافه ما يطيب لك وهو لاشك كذلك، هان عليك أن تقف وقفة الحازم متدبراً فيما كان وما سيكون، مسكناً لمهيجاتك بما ينفع من صحيح المسكنات، فتسكنه اضطراباتك فتقف معك حالتك ما علمك الدهر، وحسب الدهر ما ترتاح إليه النفس من رواياته الدائمة التمثيل، وفصوله المتتابعة والتاريخ يعيد نفسه، والليالى بعضها شهود، وأنت بما استأنسته فيك من غزارة المعرفة وبعد النظر – وإن كانت جمحت بك الأيام وشط بك الغرور – فهذا لا يزيدك إلا دراية بما أنت، والاستقامة خير مبدأ والقرآن خير دليل والله ولى الصابرين، فهو رب العالمين وأرحم الراحمين.

الفلاح: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾ المائدة ١٠٠، صدق الله العظيم. بقولك هذا أيها الحكيم شفيت علتى، وكأنى بتعاليمك هذه أنيب اليوم ولم يسبقك من سبقت نصيحته نصيحتك، ولقد بعثك الله لهدايتى وهو خير الراشدين.

السائح فى الأرض والسابح فى السماء

اصطحب طالب علم وتلميذ من سن الطفولة، وكان الطالب اسمه متدبر، والتلميذ مفكر، فشب الطالب على التدبر فى شئون الكون، وتغيراته، وما يحدث فيه من تغير الأحوال، وشب التلميذ على حب الاستطلاع على الآثار الأرضية وعلم مراتب الجمادات والنباتات والحيوانات. ونما فى كل واحد منهما ما هو مفطور عليه، وكان كل واحد يدعوا الآخر إلى ما يحبه لنفسه، ثم حصلت المنافسة بينهما، فأدت إلى إقامة كل واحد منهما الحجة على صحة مبدئه ومقصده، وكان متدبر أقواهما حجة، ومفكر أقواهما تمسكاً، فعين لهما مجلساً فى نهاية كل شهر، يعرض كل واحد منهما على الآخر مباحثه ونتائج مجاهداته.

متدبر نظر من صغره إلى نفسه فعلم بعد أن تلقى العقيدة الإسلامية، ومبادئ أحكام الشريعة أن الأحكام الشرعية لم يطالب بها هذا الجسم مجرداً عن نور فيه زائد على قوى الحيوان، إذ لو كان حيواناً مجرداً لما طولب بتلك الأحكام، ولا بلغ تلك المنازل العلية، منازل القرب من الله والحب فى الله، والإخلاص والإحسان إلى العالم أجمع بالرحمة والعاطفة، فنظر بشوق إلى سير هذا النور المودع فى الإنسان، وجاهد نفسه حتى تخلصت من الميل إلى مقتضيات الجسم ولوازمه، فزكت نفسه وأنس بلذة فى الوحدة حتى ترك طيب الأكل ولين الثياب وراحة النوم والرغبة فى النساء، وسبح بفكره فى تلك الآفاق متخيلاً تارة، ومتوهماً أخرى.

تجرد عن كل تلك المقتضيات للفيض القدسى، فكانت تشرق عليه أنوار عرفان كالبرق الساطع لا يلبث سطوعها إلا ريثما تحجب عنه، فكان فى تلك الأنفاس ينبسط وينقبض، فإذا غشته تلك الأنوار انبسط، وإن حجبت عنه انقبض، وكان قريباً منه عالم عارف بالنفوس، فتوجه إليه وعرض حاله عليه، فأمره بكثرة قراءة القرآن ومطالعة كتب الحديث، وتراجم العلماء العاملين، وكلفه أن يحضر مجلسه فى ليلتى الخميس والاثنين، فداوم على ذلك حتى حصلت له بهجة باستدامة هذا النور المشرق فى أوقات صفائه، ثم تذكر صاحبه مفكر

فسأل عنه، فقيل: كان غائباً له شهور وحضر أمس، فزاره مفكر.

متدبر جلس مع مفكر فنظر إليه وقال: ما الذى أحنى ظهرك وأنهك قواك وغير معالم شبابك؟

متدبر: بعت رخيصاً بغال، واستبدلت فانياً بباق، وأقبلت بكليتى لأنال بغيتى التى يدوم بها أنسى وتبقى بها بهجتى.

مفكر تبسم مستهزئاً ثم بكى آسفاً قائلاً: الإنسان بعقله ومن فقد عقله فقد الخير كله، كم نهيتك فلم تنته، ولو استعملت ذكاءك فى شئ نافع لانتفعت ونفعت، أضعت عشرين سنة من عمرك أتلفت فيها صحتك، وأفسدت قواك العقلية، ما الذى نلته؟ وها أنا صار لى مال كثير وعيال وخدم وآمال وشهرة واسعة بأعمال، وأقص عليك نبذة من نتائج أبحاثى.

تعلم أن نفسى ميالة إلى علم تخطيط الأرض، ومعرفة الأنواع التى عليها من النبات والحيوانات، وطبائع المجتمعات الإنسانية، والبحث عن عوائدهم وأخلاقهم من غير طمع فى شئ آخر، فصرفت نفائس أوقاتى فى كشف تلك الحقائق، حتى وصلت إلى قصدى، ورميت بنفسى فى لجج بحر السياحة، تارة يرفعنى وآونة يخفضنى، متحملاً تلك الآلام إلى نيل البغية ومن جد وجد، فجبت القفار وقطعت الفيافى وشهدت عجائب الآثار الطبيعية والصناعية، وعاشرت أكثر المجتمعات الإنسانية، حتى علمت ما هم عليه، وبلغت مبلغاً به أتكلم مع كل مجتمع بلغته، وأبين لهم ما هم فى حاجة إليه لرقيهم، حتى أحبنى جميع الأمم ووثق بى كل أمير ووزير، وطولبت أن أكون رئيساً لجمهوريات فأبيت إلا أن أتم سياحتى.

متدبر: ما الذى يقصده غير المسلمين بالمسلمين؟

مفكر: هذا سؤال ينبغى أن يلقى عليك جوابه فى خلوة، فإن ما علمته من تلك الأسرار لا يعلمه أحد غيرى، إلا ملك أو وزير أو أمير من الأمم المناوئة للمسلمين.

متدبر: أمر بانصراف الجالسين وأغلق باب الحجرة وأخذ القلم والدواة، وطلب من مفكر

أن يجيبه على سؤاله.

مفكر: تعلم أن الإنسان ميال بطبعه إلى العاجلة، وتعلم أن بشاشة دين الإسلام إذا باشرت تلك القلوب المطهرة من تلك الأطماع ملكتها، وأن حلاوة الإسلام إذا ذاقتها ألسنة العقول سارعت إليها، مالم يحجبها طمع أو حظ وهوى، وقد ظهرت تلك البشاشة وانتشرت تلك الحلاوة، حتى عمت مشارق الأرض ومغاربها فى سنين تعد على الأصابع، فمحت فى تلك المدة الوجيزة عروش الملوك وتيجانهم، وجعلت الإنسان عزيزاً، لا يرى له رباً إلا الله، حتى صارت التيجان وأصحابها أحقر من الذباب مهما ارتفع، وأذل من الغبار مهما رفعته الريح، وأصبح الفقير فى مزرعته يشعر بالعزة بالإسلام على الملك فوق سريره، هذا لتمسكه بقواعد الإسلام، فانزعجت قلوب أهل التيجان وحفدتهم وأعوانهم، وفكروا فى إطفاء هذا النور، ولكن أبى الله إلا أن يتم نوره.

انتشر هذا النور فى آسيا من جبال القوقاز إلى مياه الهند، وفى أفريقيا من مياه البحر الأبيض إلى رأس الرجاء الصالح، وفى أوروبا من مياه البسفور إلى بحر المانش، وعم أكثر جزر البحار شرقاً وغرباً. تغيرت بالإسلام معالم الأرض فى طولها والعرض، وأشرقت أنوار العدل حتى صار كل مفكر أو باحث أو حكيم فيلسوفاً يسارع إلى اعتناق الإسلام مفتخراً، وإلى العمل به شاكراً، وما نشر الإسلام فى تلك الأصقاع إلا بشاشته وحلاوته، وكونه هو الدين الحق، ولم يكن سيف الإسلام إلا لدك أطوار الظلم من طغاة الملوك وظلمة الأغنياء وسفلة المقلدين الجهلاء، الذين هم أشد من الطاعون ضرراً على بنى الإنسان، وقطع عضو لحفظ الجسد أمر معقول ورحمة مشروعة. بقيت بقية من أهل الظلم عاملة سراً على إطفاء هذا النور، ولكن الله غالب على أمره، مكثوا زمناً يعملون فى الخفاء، حتى انتهزوا فرصة تفرقة الدولة العباسية وتجزئة ملكها، فقاموا بحملة شعواء مشهورة فى التاريخ، أفسدوا فى الأرض وسفكوا الدماء ظلماً، يدعون إلى باطل فى صورة حق، وهى الحروب الصليبية، ولكن الحق يعلو ولا يعلى عليه. قاموا ليطفئوا نور الله بالخيبة بعد أن توغلوا فى البلاد، ولكنهم تلقوا درساً تحققوا به مقدار نور الإسلام فى قلوب المسلمين، الأمر الذى متى بدت منه بادرة، أنسى كل مسلم الحروب والأهواء.

متدبر: أيها المتفكر اجهد فى البحث وأنت أيها الباحث ﴿فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ﴾ الملك ٣، واعلم أن الإنسان أقرب حيوان للتأثر بالظاهرة الكونية، خصوصاً إذا كان فارغ الفؤاد من الكمالات الإنسانية التى بها يذوق لذة التفكر فى الآثار الكونية، التى ترجع به إلى العلم بمبدئه ونهايته، وتحقق المشهودات والنظر إليها بالفكر العلمى، الذى يشير إلى خواصها المودعة فيها بقوة المُبدع لها، والفكرة التى استنتجت فوائد تلك الخواص للانتفاع بها، ويذوق لذة الإيمان بمن وهب المادة وأودع فيها الخاصية ووهب العقل المرشد لعلم تسخيرها، بترتيب أو تركيب أو خلط أو مزج أو غير ذلك، حتى يتحقق كمال التحقق بمكانة الواهب المفيض سبحانه، ويعلم حق العلم أن هذه إنما جعلت ليستخدمها الإنسان فى منفعتين: الأولى استعمالها فى حفظ حياته وراحته، وشكر المنعم عليها بمساعدة عبيده والتقرب إليهم ومساواتهم بنفسه، بحيث لو غفل عن إحدى المنفعتين كانت للضر أقرب منها للنفع.

وإن كان السواد الأعظم تشغلهم المنفعة العاجلة فيزاحمون عليها، ويقفون عند من وهب له الفكر فى انكشاف خواصها، مادحين له، شاكرين لفضله وتحصل لهم الدهشة، ويفتخرون بمن وهب له هذا الفكر، ولو كان ممن غضب عليهم الواهب سبحانه لأنه يهب من يشاء مما يشاء، لا لعلة ولا لغرض، بل يظهر آياته على يد من يشاء عبرة للعباد وذكرى لآياته، وهذه البحار والهواء والجبال والحيوانات، تحدث ما يدهش العقول ويحير الألباب من المنفعة للنوع الحى، والشمس والقمر وغيرهما من جميع الكائنات.

وكثير من الناس من اتخذ هذه الأشياء آلهة تعبد من دون المفيض للخير، وكذلك أهل الغرة بالله تعالى الذين غرتهم الدنيا يكادون يعبدون من اخترع صنعة أو كشف خبيئة نسياناً للمفيض سبحانه، وغفلة عن الحق، حتى تهوى بهم الغرة إلى جهل الحق وإنكار الدين وإقبال على الزهو والكبر، والتهاون بأمور الدين ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ﴾ الأنعام ٤٤، وليس ذلك إلا من مجالسة أهل الغفلة المغرورين بعاجل الأمر. فلا يشغلك هذا الأمر الذى هو فى الحقيقة موجب ليقظة القلب والفكر والتدبر فى آيات الله سبحانه وتعالى وكثيراً ما أوجب هذا الأمر

الغلو، حتى أنكر المغرور كثيراً من آيات الله وأوامره، حتى أنكر مقام الألوهية، ولم يتمتع إلا قليلاً، ثم سيق إلى القبر مغضوباً عليه والعياذ بالله تعالى فندم ولات حين ندم، فتنبه أيها الناظر لهذه المظاهر، ولا يشغلك ما به تتقرب إلى الله فتتقرب إلى النار، والله سبحانه وتعالى الموفق.

الجنة العاجلة والجنة الآجلة

أراد رجل من أهل العراق أن يحج فركب البحر مع رفقة قاموا له بالخدمة طيلة أيام سفره، ولما أوغل فى الأقيانوس الهندى، عصفت الريح بالسفينة فلم تبق عليها شيئاً وضل الربان الطريق وتجهم الزمان واكفهر جو المكان، وتلبدت الغيوم فارتطمت السفينة بالصخور فغرقت السفينة وهلك كل من فيها إلا هذا العراقى الذى كانت له دراية فى السباحة وقدرة على مقاومة الموج بالصبر الجميل.

وقذفته أمواج البحر العجاج اللجاج على شاطئ جزيرة وجد عليه أقواماً فرحين مهللين مكبرين، جاءوا معهم بالطبول والمزامير والعيش الكثير والهوادج ذوات الأثاث الوثير.

وخرج الرجل من البحر عارياً فلا رداء عليه، وجوعاناً لا يقوى على المشى، فسرعان ما ألبسوه قميصاً موشى بالذهب الأبريز وجبة فى أحسن تطريز، وجئ بأخزنة من الطعام عليها ما لذ وطاب، فأكل وشرب ونام فاستيقظ والقوم بين تهليل وتكبير وفرح ومرح ما له من نظير، حتى كان اليوم السابع لقدومه عليهم فتجمع حوله القوم وألبسوه تاجاً موشى بأغلى الجواهر الحسان، واللآلى فوق الجمان، ونادوا به ملكاً على هذه الجزيرة، الأمر الذى كان لا يحلم به فى سالف العصر والزمان.

وفكر الرجل وقدر فى ما آتاه الله من هذا الحظ الكثير والملك الكبير، فاستوزر لديه بعض الحكماء من رجالات القوم المعدود برأيهم، بعد أن مكث طويلاً فى تعلم لغتهم، فلما تم تعلم اللسان، وأمكنه أن يخاطبهم بما فى الجنان، جمعهم ذات يوم وسألهم عن هذا الحال الذى لاقاه والحظ الذى وافاه، وهم يكتمون عنه أمرهم فيه، وحرصهم على أن يوافيه، ولكن لما تودد إليهم ووجدوا أن فضله دائماً واصل لديهم، وأنه أغرقهم بنعماه، واستطابوا العيش معه قالوا له: أيها الملك العزيز والذهب الأبريز، إننا كل عام نقود ملك هذه الجزيرة إلى الهاوية، قال: وما الهاوية؟ قالوا: بئر أعددناه لأمثالك، سحيقة القاع سيئة المتاع، لها فى كل مكان منها أمشاط من الصلب مسنونة، إذا هوى فيها إنسان لا يصل إلى القاع، حتى يتبعثر جسمه فى كل مكان، ثم بعد أن نفرغ من هذا العمل الوبيل، نسرع إلى الشاطئ فى فرح

ومرح لنستقبل من يلقيه البحر إلينا، ليكون ذلك الملك الجليل.

فلما أن أخبروه الخبر، وأراد أن يكون منه على حذر، قال لهم: وكيف إذا المفر؟ فقال له أكبرهم سناً وأعظمهم قدراً: إن الله جلت قدرته قد جعل لكل ضيق فرجاً ولكل هم مخرجاً، سبحانه جعل لكل شئ قدراً، وأرى أنه إذا طابت نفس الملك للبقاء، فما عليه إلا أن يأمر بإصلاح هذه البلقاء قال: وما هذه البلقاء؟ قالوا: جزيرة تبعد عنا مسيرة يومين فليعمرها ويستثمرها، فتكون له مأوى أمين وحصن حصين بعيداً عن غوغاء هذه الجزيرة، وهوجاء هذه الفئة الشريرة، التى لا تعرف قدر الملوك، بل هى تملك كل من جاءها من منبوذ مفلوك.

وصحت عزيمة هذا الملك على استصلاح هذه الجزيرة فأرسل إليها العمال والبناة، فشيدوا له قصراً عظيماً، وأرصد لهذا العمل الجليل أموال الدولة، فما أن قرب انتهاء العام حتى هرول إلى هذه الجزيرة فوجدها جنة عالية، قطوفها دانية، تجرى من تحتها الأنهار وتؤتى أكلها كل حين بإذن ربها العزيز الغفار.

فمن يكون إذا هذا الإنسان؟ وبماذا ينطق هذا المثل يا أهل العرفان؟

إن هذا المثل ليصور لكم حياة الإنسان فى دائرة هذا الإمكان، فالسفينة: بطن الأم، وتحطيمها على الشاطئ حالة الوضع، والملك: المولود الجديد، ألا ترى النساء يزغردن ويضربن بالدفوف والرجال من ورائهن يرقبون البشرى وعلى قدم الاشتياق إلى سماعها فى صفوف؟ ثم يخرج الطفل عرياناً فيكسونه بكل نفيس وغال، ويطعمونه أشهى ما يكون من الرزق الحلال، ثم مازالوا يكرمونه حتى يبلغ الرشد ويتم له حسن المآل، فإن كان شريراً ألقته ذنوبه وآثامه فى الهاوية، وإن نشب مفطوراً على الخير أنجاه الله من هذه الداهية، فحمد آخرته بعمل صالح فى دنياه، ليطيب له العيش فيها ولا ينفك طول وقته ذاكراً شاكراً الله، الذى لا يسأله غير رضاه وحسن لقاه.

الفهرس

المقدمة ٥

النـاسك والمخترع ٦

السياسى والحكيم والغشيم ٩

ريانة الشرقاوية وزبيدة المصرية ١٤

العالم والتاجر والفلاح ١٦

المقتصد والمسرف والفاسق ١٩

الجبان والمتوسط والمتطرف ٢٤

المجذوب والسياسى ٣٠

الصالح واللص والسُكرى ٣٣

الفلاح المصرى والتاجر الهندى والمخدوع العراق ٣٦

الفلاح والحكيم ٤٢

السائح فى الأرض والسابح فى السماء ٤٥

الجنة العاجلة والآجلة ٥٠

الفهرس ٥٢

almashahed
www.almashahed.com